

بناء العلاقة بالقرآن: التدبر

شريفة. ومن المعلوم أن المقصد الأساسي من وراء القرآن ومن وراء كل آية فيه هو الوصول إلى السعادة المطلقة التي تحصل بالكمال العلمي والعمل، ولقد كثرت الدعوة إلى التفكير وتمجيده وتحسينه في القرآن الشريف حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١). ففي هذه الآية مدحٌ عظيم للتفكير، لأنها جعلت غاية إنزال الكتاب السماوي العظيم والصحيفة النورانية المجيدة احتمال التفكير،

نقل عن الرسول الخاتم ﷺ أنه لما نزلت الآية الشريفة ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ﴾^(٢) إلى آخرها.. قال ﷺ: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»^(٣).

٤- الحث على تعليم القرآن وتعلمه والتدبر:

بنظرة بسيطة على نماذج من الروايات يتضح المراد، حيث ورد التأكيد على فهم القرآن والتعمق في مداليل آياته وأسرارها:

- تعلم القرآن حق وواجب: قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن ذكرأ أو أنثى، حراً أو مملوكاً، إلا ولله عليه حق

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^(٤)، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٥). ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٦)، وعن الإمام علي عليه السلام: ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه^(٧).

وجاء في مجموعة من الروايات: التطويل في مدة ختم القرآن للتمكن من التدبر في معانيه فورد عن رسول الله ﷺ - فيما قال لابن عمر -: اقرأ القرآن في كل شهر، قال: قلت: إني أجد قوة، قال: اقرأه في عشرين ليلة، قال: قلت: إني أجد قوة، قال: فاقرأه في عشر ليال، قال: إني أجد قوة، قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك.

٣- بين التفكير والتدبر: المقصود من التفكير أن يبحث في الآيات الشريفة عن المقصد والمقصود من كل آية. وأحسن التعبير فيه ما قاله الخواجة عبد الله الأنصاري رحمه الله حيث عرف التفكير بأنه: «تلمس البصيرة لاستدراك البغية»^(٨)، يعني أن التفكير هو التجسس والبحث بواسطة نور البصيرة للوصول إلى المقصد والمقصود من كل آية

محاور الموضوع الرئيسية:

- معنى التدبر وأهميته
- بين التفكير والتدبر.
- الحث على تعليم القرآن وتعلمه والتدبر فيه.
- التدبر مفتاح البصيرة.

الهدف:

التعرف على مفهوم التدبر في آيات القرآن الكريم وكيفية التفاعل القلبي عند تلاوتها.

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَنْبَابِ﴾^(٩).

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

١- معنى التدبر: التدبر النظر ١-

معنى التدبر: التدبر النظر في عواقب الأمور... والفرق بين التدبر والتفكير، أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل^(١)، ومعنى قوله: أفلا يتدبرون القرآن: أي يتأملون في معانيه، ويتبصرون ما فيه...^(٢).

٢- أهمية التدبر في الكتاب

والسنة: ورد الحث الشديد على التدبر

في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿



(١) مجمع البيان، ج ٣، ص ١٤١

(٢) تفسير كنز الدقائق، ج ٢، ص ٥٤٧

(٣) محمد: ٢٤

(٤) المؤمنون: ٦٨

(٥) النساء: ٨٢

(٦) البقر: ٩٢ / ٢١١ / ٤

(٧) منازل السائرين، باب التفكير.

(٨) النحل، ٤٤.

(٩) آل عمران، ١٩٠.

(١٠) نور الثقلين، ج ١، ص ٣٥٠.

إليه يصعد الكلم الطيب

٦- مثال: التدبر في أوصاف

المؤمنون:

إن من أراد أن ينال من القرآن الشريف الحظ الوافر والفائدة الكافية، عليه أن يطبق كل آية من الآيات الشريفة على حالات نفسه حتى تحصل له الاستفادة الكاملة. مثلاً يقول الله تعالى في سورة الأنفال في الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١)، فعلى الإنسان المتدبر أن يلاحظ هل هذه الأوصاف الثلاثة تنطبق عليه؟ هل أن قلبه يوجل ويخاف إذا ذكر الله؟ وإذا تليت عليه الآيات الشريفة الإلهية هل يزداد نور الإيمان في قلبه؟ وكذلك اعتماده وتوكله على الحق تعالى؟ أم أنه عن كل هذه المراتب متأخر، ومن كل هذه الخصائص محروم؟ من أراد أن يفهم أنه من الحق تعالى خائف وقلبه من خوف الله وجل فليتنظر إلى أعماله. فالإنسان الخائف من الله لا يتجاسر عليه في محضره، ولا يهتك الحرمات الإلهية في حضوره...

وإذا قوي نور الإيمان في القلب بتلاوة الآيات الإلهية، فإن نور الإيمان سوف يسري إلى ظاهر الإنسان أيضاً. فمن غير الممكن أن يكون القلب نورانياً ولا يكون اللسان والأذن والعين والسمع نورانياً. وهو في هذه الحالة مضافاً إلى أنه اهتدى إلى السعادة والطريق المستقيم إلا أنه يكون مضيقاً لسائر الخلق أيضاً ويهديمهم إلى طريق الإنسانية.

(٦) الأنفال، ٢.

وعن الزهري قال: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: «آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنٌ فَكُلَّمَا فَتَحَتْ خَزِينَةٌ تَبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا».

والمستفاد من هذين الحديثين أنه حريٌّ بقراء القرآن التدبر في آياته والتفكر في معانيه، وأن التمعّن والتأمل في الآيات الكريمة الإلهية، واستيعاب المعارف والحكم والتوحيد من القرآن العظيم، لا يكون من التفسير بالرأي المنهي عنه الذي يلتجأ إليه أصحاب الرأي والأهواء الفاسدة، الذين لا يتمسكون بقول أهل بيت الوحي، المخاطبين بالكلام الإلهي.

ووردت أحاديث كثيرة تأمرنا بالرجوع إلى القرآن والتعمّق في آياته. فقد نقل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةِ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ».

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَكُتِبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسِينَ آيَةً كُتِبَ مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَرَأَ مِائَتِي آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْخَاشِعِينَ، وَمَنْ قَرَأَ ثَلَاثِمِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَمَنْ قَرَأَ خَمْسِمِائَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ، وَمَنْ قَرَأَ أَلْفَ آيَةٍ كُتِبَ لَهُ قِنطَارٌ مِنْ بَرٍّ، الْقِنطَارُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْقَالٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَالْمِثْقَالُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا أَصْغَرُهَا مِثْلُ جَبَلٍ أَحَدٍ وَأَكْبَرُهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ».

واجب أن يتعلم من القرآن^(١).

وقال عليه السلام: «مَنْ عَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ لَهُ أَجْرُهَا مَا تُلِيَتْ»^(٢).

- ثواب تعلّم القرآن: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَتَوَاضَعَ فِي الْعِلْمِ وَعَلَّمَ عِبَادَ اللَّهِ وَهُوَ يَرِيدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَعْظَمُ ثَوَاباً مِنْهُ، وَلَا أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً وَلَا دَرَجَةً رَفِيعَةً وَلَا نَفِيسَةً إِلَّا وَكَانَ لَهُ فِيهَا أَوْفَرُ النَّصِيبِ، وَأَشْرَفُ الْمَنَازِلِ»^(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّ مِثْلَ حَامِلِ الْقُرْآنِ كَمِثْلِ رَجُلٍ حَمَلَ جَرَاباً مَمْلُوءاً مِسْكَاً إِثْنِ فَتَحَهُ فَتَحَ طَيْباً، وَإِنْ أَوْعَاهُ أَوْعَاهُ طَيْباً»^(٤).

- تعلّموا ربّيع القلوب: قال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَانْهَ رَبِّيعَ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصَّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ (أَحْسَنُ) الْقَصَصِ فَإِنَّ الْعَالَمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَاثِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَالْحُسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ»^(٥).

٥- التدبر مفتاح البصيرة: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الْقُرْآنُ عَهْدُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ فَقَدْ تَبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَهْدِهِ وَأَنْ يَقْرَأَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسِينَ آيَةً».

(١) مستدرك الوسائل: ج ١ / ص ٢٨٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ١ / ص ٢٨٨.

(٣) عقاب الاعمال: ص ٥١.

(٤) مستدرك الوسائل: ج ١ / ص ٢٩٠.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١١٠.